أثر العقيدة في الصناعة المعجمية

علي محمود الصراف

مدرس، قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب، جامعة الكويت

الملخص

يدرس هذا البحث مدى تأثر صناعة المعاجم العربية بعقائد صُنّاعها المختلفة؛ حيث يتتبع البحث مجموعة من الأعمال المعجمية العربية التي ينتمي صُنّاعها إلى فرق عقدية عدّة؛ كالشيعة الإمامية، والمعتزلة من المسلمين، بالإضافة إلى الذين ينتمون لدين آخر غير الإسلام كالمسيحيين؛ إذ أنتج هؤلاء كغيرهم مجموعة غنية من المعاجم العربية التي أثرت المكتبة العربية.

وفي إطار إثبات ذلك التأثر، يتناول البحث دراسة المستويات والقطاعات التي شملها هذا التأثر؛ مثل دراسة التأثر على مستوى الألفاظ، ومستوى المعاني، ومستوى الصياغات المستخدمة في لغة الشرح، وغيرها من الأمور المواكبة للصناعة المعجمية.

وبعد تقديم الأدلة المعجمية اللازمة لإثبات تأثر صناع المعاجم بعقائدهم عند صناعة معاجمهم، يقدم البحث رؤية تحليلية لهذه الظاهرة المعجمية، ولاسيما ما يتعلق منها بالأسباب التي أدت إلى نشوء هذه الظاهرة، واستمرارها حتى هذا العصر.

توطئة

يتجه هذا البحث نحو دراسة أثر العقيدة في الصناعية المعجمية[1]، وبيان مدى تأثر القطاعات المعجمية المختلفة بعقيدة صانع المعجم بما يتجلى معها ظهور هوية صانع المعجم بشكل يعكس التأثير المتبادل بين الطرفين.

ومعنى ما سبق أن البحث يطرح فرضاً يؤسَّس على أن بعض المعاجم اللغوية العربية قد تأثرت مادتها المعجمية بعقيدة صانعها، فأفرز لنا هذا التأثر مادة معجمية خاصة مبثوثة في داخل المعجم المعين تتمثل في لغته ومداخله وشروحها، وهذه المادة تُعَدّ قيمة مضافة إلى المادة المعجمية العامة التي تتضمنها صفحات ذلك المعجم مما تشترك فيه مع بقية المعاجم.

وستحاول الصفحات القادمة، بإذن الله تعالى، إثبات الفرضية المقدمة بالقرائن والأدلة اللازمة، علاوة على تحليل الفكرة بما يزيل عنها الغموض الذي يكتنفها[2].

منطلقات البحث ومرتكزاته

اعتمد البحث على مجموعة من المرتكزات، وانطلقت (فرضيته) من عدة منطلقات تتلخص فيما يأتي:

1 - **الملاحظة الشخصية**؛ فلقد لاحظت - كما لاحظ غيري - عند إعدادي لرسالة الماجستير أن معجم (المنجد في اللغة العربية المعاصرة) يحوي مقداراً كبيراً من الألفاظ والدلالات الخاصة بالديانة المسيحية وثقافتها بصورة أكثر وأوضح مما تحويه المعاجم اللغوية العربية الأخرى.

وبعد تتبع تلك الألفاظ والدلالات، ومقارنتها بما ورد في المعاجم المشابهة، اتضح صدق هذا الفرض - ولو بصورة مبدئية - الأمر الذي دفعني للمضي قدماً في طرح الفرض ودراسته بصورة علمية دقيقة.

2 - **الاختلاف**، والتعدد، والتنوع بين البشر ناموس طبيعي، وقاعدة مطردة في الفطرة الإنسانية؛ فقد خلقنا الله مختلفين، يقول عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ

خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[3]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾[4].

وقد ظهر أثر هذا الاختلاف والتعدد في مجالات معرفية كثيرة عند المسلمين، لعل في مقدمتها تفسير القرآن الكريم، وهو مجال يرتبط بموضوع البحث لسبب أو آخر، فقد كان المسلمون يجتهدون في تحصيل العلوم الشرعية والقرآنية، ولاسيما بعد عصر النبي (ﷺ) معتمدين على تحليل النصوص النقلية القرآنية والروائية باجتهاد علماء الفرق الإسلامية المختلفة، فباتت كل فرقة من فرق المسلمين تفسر متشابه القرآن وألفاظه بما يتلاءم مع توجهاتها العقدية الإسلامية، ولما ظهر هذا الاختلاف في تفسير القرآن وفهمه كان محتَّماً امتداد هذا الاختلاف وظهوره في المواد المعجمية التي تتأثر بعقائد أصحابها المتنوعة.

3 - **إن التأثر بالعقيدة تجاوز المرحلة النظرية إلى المرحلة التنفيذية؛** فالعربية لها معاجم تأثرت مادتها بالفعل بعقيدة صُنّاعها، وهو ما يمكن الاستشهاد له بما يلي:

أ - معاجم صنعها أهل السنة كلسان العرب لابن منظور (ت 750هـ)، وإن شئت يمكنك أن تقول المعجم الوسيط في العصر الحديث لمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

ب - معاجم صنعها المعتزلة، فمعجم أساس البلاغة للزمخشري (ت 538هـ) صُنع بيد أحد علماء المعتزلة الكبار، ومادته تأثرت - في بعض أجزائها - بالفكر الاعتزالي الذي ساد في مرحلة من تاريخ الأمة الإسلامية.

جـ - المعاجم المصنوعة بواسطة المسيحيين، فهي تُعَدّ من أكثر الشواهد وضوحاً في الدلالة على أثر العقيدة في الصناعة المعجمية.

د - معاجم صنعها الشيعة، فمعجم البحرين للطريحي (ت 1085هـ)

مازال شاهداً بمادته – التي سيدرسها البحث في صفحاته القادمة مع غيره من المعاجم – على هذا التأثير العقدي في المعاجم.

ولبيان مقدار تأثر المعاجم بعقائد أصحابها لتعزيز الفرض الذي يطرحه هذا البحث نعرض المعاجم المتأثرة تباعاً على النحو التالي:

أ – **معاجم أهل السنة**: وهي أكثر المعاجم انتشاراً بين العرب والمسلمين، وتُعَدُّ مادتها أكثر تداولاً بينهم لأسباب عدة، أهمها أن أكثر المسلمين العرب هم من أبناء أهل السنة، ولهذا عددنا معاجمهم الأساس الذي عندما نوازن مادته بغيره نلاحظ وجود أثر للعقيدة في المادة المعجمية؛ ولهذا لا نريد دراسة هذه المادة المشهورة السائدة، بل نريد تركيز الدراسة في هذا البحث على مقابلات هذه المادة المعجمية لدى أصحاب العقائد الأخرى؛ فعلى سبيل المثال لو ذهبنا إلى معجم لسان العرب (المسلم السني) لوجدناه يذكر في جذر (ح م د) أن: "محمد وأحمد: من أسماء سيدنا المصطفى رسول الله، – ﷺ –... والمحمّد: الذي كثرت خصاله المحمودة ..."[(5)]، وفي المقابل لو فتحنا معجماً صُنع بيد مسيحي مثل محيط المحيط لوجدناه لا يشير إلى اسم النبي (ﷺ)، أو ما ارتبط بخصوص معناه في الجذر ذاته مطلقاً[(6)]، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أن معجم لسان العرب (السني) لا يورد مثلاً ما يتعلق في جذر (ر ض ي) أية إشارة إلى علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت 203هـ) أحد أئمة الشيعة الذي يُلقب لدى كثير من المسلمين (بالرضا) من آل محمد، في حين يقدم في المقابل مجمع البحرين للطريحي (من الشيعة الإمامية) بياناً واضحاً حوله في الجذر ذاته بقوله: "الرضا هو علي بن موسى، عليه السلام، وإنما لُقِّب بذلك؛ لأنه كان رضا الله في سمائه، ورضا الرسول في أرضه، ورضا الأئمة – عليهم السلام – بعده، ورضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه، ولم يكن ذلك لأحد من آبائه، عليهم السلام"[(7)]، وبعد هذا العرض المجمل يتضح لنا أن تحقق الأثر ليس

مجاله معاني المرادفات فقط؛ فهي وغيرها من المعلومات الموسوعية واللغة المستخدمة كلها قطاعات معجمية تأثرت بعقيدة صاحب المعجم، ولاسيما إذا قورنت بغيرها من المعاجم التي يتبع أصحابها عقائد مغايرة، وستكشف لنا الصفحات التالية بصورة أكثر وضوحاً ذلك التأثير وصوره.

ب - **معاجم المعتزلة**: إن هذه الفرقة من المسلمين على الرغم من انحسار وجودها في هذا الزمان تركت لنا مادة معجمية تُعَدّ شاهدة على فرضية البحث؛ فمعجم أساس البلاغة صنعه الإمام أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري[8] أحد أعلام المعتزلة، توفاه الله في عام 538 للهجرة، وقد أورد الزمخشري في المعجم الدلالات المجازية التي كان يُعبر عنها بـ (ومن المجاز) إلى جانب الدلالات الحقيقية المذكورة في بدايات مدخل كل جذر، وتركيز الزمخشري على المجاز خاضع - بدرجة كبيرة - إلى العقيدة الاعتزالية التي ينتمي إليها؛ إذ لجأ المعتزلة للمجاز لتطويع دلالات النصوص لما يوافق معتقداتهم وتأييدها[9].

ولو قلبنا بعض صفحات المعجم لاتضح لنا نماذج متعددة من التأثر بعقيدة الاعتزال، وهو ما لا نريد الخوض فيه بالتفصيل لانحسار المد الاعتزالي ونتاجه في العصور المتأخرة، وقد يكون كالسبب الأساسي لذلك هو الاضطهاد الذي عانته هذه الفرقة من المسلمين في محنة خلق القرآن الشهيرة في التاريخ، فمن هذه النماذج:

- إيراد بعض ما يتعلق بالجوانب الكلامية والفلسفية؛ حيث يظهر ذلك في بعض عبارات المعجم الشارحة للمداخل كما يلي:

- الجذر (أ ن م): لو رزقنا الله عدل سلطانه، لأنام أنامه في ظل أمانه. (قضية العدل قضية كلامية).

- الجذر (ب ر هـ): ... لا تشبّه العدليّة بالمشبِّهة، وافْصِلْ بين إبراهيم وأبرهة. (وهنا إشارة إلى القائلين بالعدل والقائلين بالتشبيه، وتعد هذه القضايا من القضايا الكلامية العقدية).

- الجذر (ب ل و): . . . أبلى الله العبد بلاءً حسناً أو سيئاً، والله يبلي ويولي. (قضية الحسن والقبيح وابتلاء الإنسان، أيضاً من القضايا الكلامية التي انشغل بها المعتزلة وغيرهم).
- الجذر (ح ق ق): . . . وأما حق لك أن تفعل، من حق الله الأمر؛ أي جعل حقّاً لك أن تفعل، وأُثبت لك ذلك. (وهذا يحمل إشارات لقضية الجبر والتفويض الكلامية التي ناقشتها المعتزلة باستفاضة).
- تسجيل المواقف من بعض الشخصيات أو الأحداث التاريخية التي مرّ بها المسلمون من خلال بعض العبارات:
- الجذر (ث أ ر): . . . يا لثارات الحسين، أريد: تعالَيْن يا ثاراته. (وهنا تسجيل رفض قتل الحسين بن علي بن أبي طالب الشهير في حادث كربلاء على يد يزيد بن معاوية).
- الجذر (ج ر أ): . . . وكان الحجاج شديد الجرأة على الله.
- الحرص على ذكر رموز المعتزلة ورجالاتها في شواهد متفرقة؛ حيث ورد على سبيل المثال ذكر بشر بن المعتمر (ت 210هـ) في الجذر (ح ج ب) والجذر (ح و ط)، كما ورد ذكر الجاحظ المعتزلي (ت 255هـ) أيضاً في أكثر من موضع مثل وردوه في الجذر (ج ح ظ)، والجذر (ح ج ر).[10]

جـ - **معاجم المسيحيين**: وهذه المعاجم يتجلى فيها التأثر بعقيدة صُنّاعها بصورة شديدة الوضوح؛ حيث يتمثل ذلك في بعض المعاجم التي أُلفت في بداية العصر الحديث على أيدي بعض المسيحيين في لبنان بصفة خاصة، وكانت صبغة العقيدة المسيحية واضحة عليها؛ الأمر الذي جعل بعض العلماء يطلق عليها اسم (معاجم اليسوعيين)[11].

ومن الواضح أن هذه التسمية دالة دلالة قوية على الصبغة الدينية أو العقدية التي تظهر في هذه المعاجم التي اهتم بتأليفها مجموعة من العلماء ودارسي اللغة العربية من المسيحيين الذين عاشوا في لبنان في القرن التاسع عشر أمثال بطرس

البستاني (ت 1300هـ)، وسعيد الشرتوني (ت 1330هـ)، ولويس معلوف (ت 1365هـ).

ونفهم من تصريحاتهم في معرض الأسباب الباعثة على تأليف هذه المعاجم بروز الجانب الديني وأثر العقيدة في الاتجاه نحو هذا العمل، حيث يقول سعيد الشرتوني في مقدمة معجمه (أقرب الموارد):

"ولما رأى مرسلو اليسوعية التمادي على هذا الحال يدفع أهل اللسان العربي إلى فاقة اللفظ . . . فتنفذوا هذا القاصر على تأليف معجم" [12].

إن في هذا النص ما يشير إلى أن الشرتوني بادر إلى صناعة معجمه استجابة لتوجيهات رجال الدين من الإرساليات اليسوعية إكمالاً لدورهم في العملية التعليمية التي كانوا يمارسونها، ولاسيما تلك المرتبطة منها بالمدارس الدينية[13].

ويذكر الشرتوني في خاتمة معجمه أنه وجد في بعض مطبوعات الكاثوليكية من كلام العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ما لا ذكر له، مما حدا به إلى إدراج مثل تلك الألفاظ ومعانيها في المعجم[14]، ويشير ذلك إلى أن الشرتوني لم يقتصر – في جمع مادته المعجمية – على ما بين أيدينا من المعاجم القديمة، بل بحث أيضاً ونظر في مصادر تمثل عقيدته، ومن هذه المصادر المطبوعات الكاثوليكية.

ومما يدل أيضاً على تأثر الشرتوني بعقيدته في صناعة معجمه اهتمامه الواضح بحشد مقدار كبير من الألفاظ والمعاني المعبّرة عن الثقافة المسيحية؛ الأمر الذي يدل على أن الباعث على صناعة المعجم كان الجانب العقدي[15].

ولو انتقلنا من معجم (أقرب الموارد) إلى معجم (محيط المحيط) لبطرس البستاني، الذي بذل في مسيرة حياته جهداً مضنياً في سبيل العلم ونشر الثقافة لوجدناه ممن تعلم اللاهوت والشرح الكنسي، وحرص على ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية[16]. وتعكس هذه الأنشطة كلها اهتمامات عقدية أحاطت

بالبستاني وشخصيته وعمله، مما يسوّغ لنا فهم كونه صاحب أول معجم أنتجه اليسوعيون[17].

وهذا التأثير الحياتي والنشأة الثقافية للبستاني انعكست بصورة أو بأخرى على ألفاظ ومعاني المعجم الذي صنعه بشكل أثرى المخزون الثقافي المسيحي. وهذا حق مشروع مادام لم يخرج عن الإطار العلمي للصناعة المعجمية؛ لأن العربية ليست حكراً على عقيدة أو إثنية بعينها دون سواها.

ولما كانت المعاجم اليسوعية ومادتها هي المثير المباشر لطرح فرضية البحث، فإن البحث سيمضي قدماً في دراسة مادتها بصورة أكثر تفصيلاً؛ وذلك لأن بيانها واضح في التدليل على الفكرة التي يرنو البحث إلى إثباتها، فتحليل المعطيات التي تمثل جزئيات الموضوع تُعَدّ شواهد إثبات لصحة الفرض المقدم في هذا البحث.

ونحن إذا تجولنا بين صفحات معجم (محيط المحيط) فسوف نعثر على شواهد - تثبت فرضنا - تتمثل في بعض الألفاظ أو المعاني التي لم يذكرها أكثر صُنّاع المعاجم المسلمين، ولاسيما القدماء منهم، أو أوردوا بعضها بطريقة مغايرة لليسوعيين، ومن هذه الألفاظ والمعاني ما يلي:

- إزار: دعاء للنعجة للحلب.
- الإصبطكمة: خبزة الملة.
- الإنجيل: مكتوبات متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وربما تناول أيضاً باقي أسفار العهد الجديد.
- البأونة: شهر قبطي يبتدئ في 7 حزيران.
- البَرَكة: عند النصارى آية يصرف بها القسيس الجمع في خاتمة الصلاة.
- البشير: المبشّر والجميل ولقب مارلوقا عند النصارى.
- البطرشيل: نسيجة طويلة ضيقة يضعها الكاهن في عنقه عند الخدمة في البيعة.

- الرياضة: عند الرهبان خلوة أيام يواظبون بها على عبادة مخصوصة.
- الزرزار ـ الزروار: البطرك عند الروم.
- المعمدان: عند النصارى الذي يُعمّدونه لُقّب يوحنا الحصور لتعميده.
- مار: سيد، وقد تُستعمل بمعنى قديس، وقولهم ماري فهي مار مضافة إلى ياء المتكلم، أي سيدي.
- مارون: اسم قديس والنسب إليه ماروني.
- المجد: الكثرة، وربما استعملته النصارى لسعادة القديسين في دار الآخرة، ولقب المسيح بمجد الآباء؛ لأنه يظهر به مجده أي عظمته للعالم.
- الموارنة: طائفة من النصارى على مذهب الكنيسة الرومانية يكثرون بلبنان.[18]

إن نظرة عامة على الكلمات السابقة تقودنا إلى عقد موازنة سريعة بين معاجم اليسوعيين، ومنها: الإصبطكمة، والبأونة، والبطرشيل. وهناك كلمات أخرى وردت ولكن بدلالات أخرى، وليس من بينها تلك الدلالات الخاصة بالثقافة المسيحية، ومنها: إزار، والبركة، وهناك نوع ثالث اتفق المعنى العام الأساسي فيه بين معاجم اليسوعيين ومعاجم المسلمين، ولكن المعاجم اليسوعية تضيف بعض الزيادات والتفصيلات التي لا تتطرق لها المعاجم الإسلامية، ومن ذلك كلمة الإنجيل التي يكتفي المعجم الوسيط بشرحها بقوله: كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام[19].

وتصدق الملاحظات السابقة على كثير من الكلمات ذات الصبغة العقدية المسيحية المعروضة في (محيط المحيط) وغيره من المعاجم اليسوعية، كما تصدق بصورة أوضح في معجم (المنجد)[20] الذي رصد فيه البحث الظواهر التالية:

1 - **مداخل جديدة**: ومعظم هذه المداخل من المعربات، أو الدخيل الذي لا أصل له في العربية، لكن صاحب المعجم يحشده لأغراض عقدية تتصل

بالدلالات المسيحية، أو تتصل بالنص على اللغات الأثيرة لدى هذه الطائفة كالسريانية واللاتينية واليونانية. ومن هذه المداخل ما يلي:

- أرشميندريت: صاحب رتبة كنسية مسيحية معروفة. (يونانية).
- الأفشين: قطعة مخصوصة من الصلاة عند الروم. (يونانية).
- الاستيخارة: مِدْرعة يلبسها الكهنة الملكيون الشرقيون. (يونانية).
- الافخارستيا: هو عند المسيحيين سر القربان المقدس. (يونانية).
- الاكسرخوس: رتبة كنائسية عند الشرقيين.[21]

2 - **ألفاظ جديدة ضمن مداخل قديمة:** ليس هناك ما يمنع أبداً من أن يضيف معجم من المعاجم ألفاظاً جديدة لم يدرجها معجم سابق؛ ولنا في المعاجم العربية قديمها وحديثها أمثلة كثيرة دالَّة على هذه الفكرة.

ليس هناك ما يمنع ذلك! لكن الذي ترصده العين المتأملة أن تكون هذه الزيادات مفروضة على صفحات المعجم لتحقيق هدف غير لغوي كما حدث مع كثير من الألفاظ المضافة إلى معجم (المنجد)، ومنها ما يلي:

- في مدخل (أ ب ب): **الأبّاتي:** لقب الرئيس العام في بعض الرهبانيات، رتبة كنسية شرقية للرهبان.
- في مدخل (أ ب ل): **أَبَل يأبُل أَبالة:** تَرهَّب، . . . ، **الأبيليّ والأبيل:** الراهب.
- في مدخل (أ ب و): **البابا:** ج بابوات، والنسبة إليه بابويّ.
- في مدخل (أ ف د): **الأفود:** نوع من الثياب كان يلبسه عظيم الأحبار من بني إسرائيل. وهو مؤلف من قطعتين تغطي إحداهما الصدر وقسماً من البطن، والأخرى تُطرح على الظهر. وهاتان القطعتان متصلتان على الكتفين بأبزيمين على كل واحد منهما حجر من جزع، وعلى الحجرين أسماء أسباط إسرائيل (عبرانية).[22]

3 - **إضافة شرح أو دلالة جديدة:** يقصد بها لفت انتباه القارئ إلى فكرة

مسيحية، أو طقس من الطقوس المسيحية، أو أي مظهر من مظاهر الثقافة المسيحية مما يبرز أثر العقيدة المسيحية في الصناعة المعجمية. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- التأمورة: صومعة الراهب.
- الإنجيل: ج أناجيل: ما كتبه بإلهام من الله القديسون متى ومرقص ولوقا ويوحنا عن حياة سيدنا يسوع المسيح وتعليمه. والكلمة يونانية معناها: البشرى؛ لأن الإنجيل يتضمن بشرى الخلاص.
- الإخوة: ومنه "الإخوة" في عرف الرهبان، وهم الذين لم يرتسموا كهنة بَعْدُ، وهم الإخوة المبتدئون والدارسون، أو الذين لن يرتسموا أبداً، وهم "الإخوة العلميون".
- أدب: ومنه التأديبات الكنسية.[23]

4 - **الإشارة إلى اللغات المقترض منها بعض الألفاظ**: ظاهرة الاقتراض اللغوي أو الاستعارة التي تتم بين اللغات ظاهرة مقبولة وواقعية ومسلَّم بها، ولا يخلو معجم لغوي عادي من إدراج بعض الألفاظ الأجنبية أو الدخيلة أو المعربة، سواء نصّ هذا المعجم على ذلك أم لم ينص عليه، لكن اللافت للنظر أن (المنجد) يحشد هذه الألفاظ الأجنبية حشداً، وينص على اللغات الأصلية لهذه الألفاظ مركزاً على لغات بعينها في مقدمتها: اليونانية والسريانية واللاتينية والعبرانية، على التفصيل التالي:

- **اليونانية**: سجل المعجم ألفاظاً كثيرة جدّاً مقترضة من اليونانية، نذكر منها ما يلي:

الإستراتيجية - الأستطقي - الأسطاطيقي - الأسطرلاب - الأسطول - الإسفنج - الإسقنقوز - الأشنان - الإلكترون - الألماس - الإمبريولوجيا - الأنتولوجيا - الأنثروبولوجيا - الأنسيون، أوتوقراط - أوتوماتيك - الأوقيانوس - أيديولوجيا - الأيقونة - الدبلوماسيّ - الدبلوماسية - الدرهم.

- **اللاتينية**: سجّل منها ما يلي:
الإسطبل – الأسمنت – أوتوستراد – أومينبس – الفرن – الفسقية – الدراما – الدكتاتور.
- **السريانية**: آذار – أيار – أيلول – فدان – فَرَّجَهُ – فَرَّس (السطح) – فَرَّط (الشيء) – فرفط – الفاكورة – نشَّط.
- **العبرانية**: الأفود – فرّيسيّ – يشب – يشم.[24]

وإذا ما تركنا معجم (المنجد في اللغة) إلى معجم (المنجد في اللغة العربية المعاصرة)[25] – وهو النسخة المتطورة عن (المنجد في اللغة)، والأكثر حداثة ومعاصرة كما يُفهم من عنوانها – وجدنا أثر العقيدة يتضح في صناعة هذا المعجم المعاصر من خلال الإشارة التي وردت في مقدمته إلى اتخاذ رمز خاص بالألفاظ المسيحية، أو معانيها؛ ذلك الرمز هو (مس)، ويدل ذلك على مدى اهتمام صانع المعجم بهذا النوع من الألفاظ ومن الدلالات والمعاني انطلاقاً من عقيدته، كما يدل على أن هذا النوع يتضمن مقداراً لا بأس به من مادة المعجم وجب التنويه إليها واتخاذ رمز خاص بها.

ومما ينبغي التنويه إليه أن كثيراً من هذه الألفاظ الموسومة بالمسيحية لم يرد في المعاجم التي صنعها غير المسيحيين، أو أنها وردت ولكنها مشروحة بدلالات أخرى، أو بطريقة غير مفصلة بالصورة الممثلة للعقيدة المسيحية تماماً، ومن هذه الألفاظ أو المعاني ما يلي:

- متجسّد: الرّوح المتخذ جسداً (مس).
- الجمعة: الجمعة العظيمة المقدسة هو اليوم الذي تحتفل فيه الكنائس بذكرى موت المسيح (مس).
- مجمع: اجتماع أساقفة ولاهوتيين كاثوليك مدعوين للنظر في أمور مجمع كنيسة واتخاذ قرارات في مسائل عقائدية أو أدبية أو تنظيمية "مسكوني" (مس).
- حلَّ: غفر له خطاياه، منحه الحلة (مس).

- حلَّة: مغفرة الخطايا يمنحها الكاهن بعد الاعتراف (مس).
- دَهن: رتبة طقسية تقوم بإمرار الزيت على شخص لتكريسه وإحلال النعمة والبركة عليه (مس).
- مِرَشَّة: كرة معدنية جوفاء، ذات ثقوب ومزوّدة بقبضة، تُستعمل في الكنيسة لرشّ الماء المقدس (مس).
- صعود: عيد الصعود: ذكرى صعود السيد المسيح إلى السماء (مس).
- صفا: لقب بطرس رأس الرسل (مس).
- صلاة: عبادة مخصوصة مؤقتة موجهة إلى الله أو إلى أحد القديسين و"الصلاة الربيّة" صلاة خاصة عند المسيحيين مرفوعة إلى الأب السماوي (مس).
- صمدة: منديل يضعه الكاهن تحت أواني القربان (مس).
- تطويب: احتفال كنسي يُمنح البابا بموجبه صفة الطوباي (مس).
- إكليل: عقد قران أو زواج (مس).
- تكلُّل: تزوُّج (مس).[26]

بعد استعراض النماذج الدالة على أثر العقيدة في الصناعة المعجمية - كما وردت في المعاجم اليسوعية تلك النماذج التي عزَّزت من صحة الفرض المقدم في هذا البحث - ينتقل البحث الآن إلى استقراء نماذج معجمية أخرى تأثرت بعقيدة صانعها حتى تتأكد الفرضية بصورة أكثر قطعية، وهذه النماذج الجديدة ستكون من خلال معاجم الشيعة.

د - معاجم الشيعة

بعد عرض صور تأثير العقيدة في معاجم الفرق المختلفة كما سبق في الصفحات الماضية، وبعد اتضاح الفرض المقدم يمكن دراسة أحد معاجم الطائفة الشيعية وهو (مجمع البحرين) بشكل تفصيلي أكثر من غيره باعتباره آخر نموذج يُقدم في هذا البحث، وباعتباره يأتي في مرحلة أعقبت نضوج الفكرة

المفترضة – ولو جزئيّاً – فيما سبق من طرح، وباعتباره غنيّاً بالمادة المعجمية المتأثرة بالعقيدة، وهذا هو جُلّ ما نسعى إلى إثباته في هذا البحث، وبذلك نكون قد انتقلنا من مرحلة الفرض والملاحظة إلى الاستدلال الاستقرائي عبر الجزئيات المتلاحقة لتكمل لدينا بذلك أركان البحث العلمي وخطواته المنهجية.

والمعجم المختار للدراسة في هذه المرحلة صنعه فخر الدين الطريحي الذي ينتمي إلى طائفة الشيعة الإمامية المسلمة، ومنه جاءت نسبة التأثر في هذا المعجم إلى هذه العقيدة.

ويمكن تعريف هذه الطائفة – أي الشيعة الإمامية – من خلال نقل تعريف أحد علمائها وهو الشيخ جعفر سبحاني (مازال حيّاً) بقوله: "الشيعة من يشايع عليّاً وأولاده باعتبار أنهم خلفاء الرسول وأئمة الناس بعده، نصَّبهم لهذا المقام بأمر من الله سبحانه، وذكر أسماءهم وخصوصياتهم"[27].

وتُعَدّ الطائفة الشيعية واحدة من أكبر الطوائف الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي، ولها من العلماء والامتداد التاريخي ما يشجع على القيام بدراسات معمقة لنتاجهم المعرفي في جميع المجالات، ومنها المجال المعجمي بطريقة تثري العلم وأبحاثه.

معجم مجمع البحرين

حري بنا دراسة السياق الخارجي المحيط بإنتاج المعجم المدروس قبل الخوض في استطلاع منهجه ومادته؛ للاستفادة من عناصر هذا السياق في دعم الفرضية، يلي ذلك دراسة مادة المعجم ولاسيما ما تأثر منها بعقائد الشيعة الإمامية على النحو التالي:

أ – الطريحي صاحب المعجم

هو فخر الدين بن محمد علي الطريحي (979 هـ– 1085هـ)، ولد في مدينة النجف الأشرف في العراق عام 979 هجرية. وتُعَدّ هذه المدينة من أهم المدن العلمية الدينية الشيعية، ولا تزال إلى يومنا الحاضر مقر المرجعية الدينية

الشيعية، ويقصدها الشيعة لمكانتها الدينية والعلمية، تلك المكانة التي تعززت بوجود قبر الإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام - فيها (ت 40هـ). وفي هذه المدينة كان مسقط رأس الطريحي وقد أعطاه ذلك وضعاً عقديّاً هائلاً ناتجاً من هذا الربط بين صاحب المعجم وصانعه وبين المدينة التي ينتمي إليها.

أما من حيث النسب فتشير مقدمة المعجم التي خُصِّصت بعض صفحاتها لسيرة الطريحي الذاتية وتأكيد مكانته العلمية - إلى أن نسبه ينتهي إلى حبيب بن مظاهر الأسدي (ت 61هـ)، وحبيب بن مظاهر هو من أصحاب سبط النبي (ﷺ) الحسين بن علي بن أبي طالب (ت 61هـ) وثالث الأئمة عند الشيعة الإمامية، وقد قُتل حبيب مع الحسين في معركة كربلاء التي يُحيي ذكراها الشيعة حول العالم شهر محرم من كل سنة هجرية. وتحتل هذه الحادثة وقتلاها مكانة دينية رمزية كبيرة أضفى انتماء الطريحي نسباً لأحد رجالاتها بعداً دينيّاً يعزز من قيمة هذه الشخصية لدى أبناء هذه الطائفة.

وتتلمذ على يد الطريحي مجموعة من أعلام علماء الدين عند الشيعة أمثال هاشم البحراني (ت 1107هـ)، ومحمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104هـ)، ونعمة الله الجزائري (ت 1112هـ)، وغيرهم. وتعكس هذه الأسماء قيمة دينية للطريحي مضافة إلى القيمة اللغوية التي يتمتع بها.

وأما مؤلفاته فحافلة بالآثار العقدية التي تحمل ثقلاً كبيراً وعمقاً ملحوظاً في التكوين الثقافي لشخصية الطريحي. ومن هذه المؤلفات ما يلي:

- إيضاح الأحباب في شرح خلاصة الحساب.
- مجامع المقال فيما يتعلق بالدراية والرجال.
- الأدلة الدالة على مشروعية العمل بالظهر المستفاد من الكتاب والسنة.
- تحفة الإخوان في تقوية الإيمان.
- جواهر المطالب في فضائل الإمام علي بن أبي طالب.
- المستطرفات في شرح نهج الهداة.
- المنتخب في جمع المراثي والخطب[28].

وقد شهد للطريحي الكثير من علماء الشيعة الذين عاصروه، وأدركوا زمانه، وكذلك علماء الشيعة الحاليون أو المعاصرون الذين عدوه مثالاً يُحتذى، ووسموه بأنه "فاضل، زاهد، ورع، عابد، فقيه، شاعر، جليل القدر"[29]، وقد كان لهذه التزكية من جانب رجال الدين الشيعة أطيب الأثر في نفوس العامة من الشيعة، وكان من نتيجتها أنه احتل بها هو ومعجمه قبولاً واسعاً مازال مستمرّاً إلى اليوم.

يفهم مما سبق من ترجمة الطريحي - بصورة مجملة - أننا بإزاء خلفية عقائدية بارزة تأثر بها، وظهر هذا الأثر واضحاً فيما خلفه من مؤلفات، ومنها معجم (مجمع البحرين) الذي سندرسه في هذا البحث.

ب - أهمية المعجم: يكسب معجم (مجمع البحرين) أهميته - وخصوصاً لدى أبناء الطائفة الشيعية - انطلاقاً من شخصية مؤلفه التي حملت - كما أسلفنا القول - بُعْداً دينيّاً مهمّاً، وانطلاقاً من اطمئنان باحثي الشيعة وعلمائهم إلى أن المعاني والدلالات التي سيعتمدونها من هذا المعجم موثوق بها؛ لأنها خرجت من بين أيادٍ تحمل الفكر العقدي الذي ينتهجونه. وينطبق هذا كذلك على ألفاظهم التي قد يخلو منها كثير من المعاجم اللغوية التي أعدها غير الشيعة من طوائف المسلمين.

ومما يؤكد هذه الأهمية ما لاحظه صاحب البحث من أن مجموعة كبيرة من كبار علماء الشيعة ينقلون معظم الدلالات عن هذا المعجم، ومنهم: الشيخ الصدوق (ت 381هـ)، والشيخ المفيد (ت 413هـ)، والسيد البحراني، والسيد ابن طاووس (ت 664هـ)، وغيرهم[30]، وهم يعدون المعنى الذي يسجله الطريحي حجة لغوية عندما تقتضي بحوثهم إثبات بعض القضايا اللغوية، ويؤكد هذا قول محقق المعجم:

"ويكفي في **(بيان)** أهمية هذا الكتاب أنك لا ترى أحداً من رجال العلم إلا ولديه نسخة منه يراجعه في اليوم، وفي كل بحث مرات؛ لأنه ليس كتاب لغة فحسب، بل هو أشبه شيء بدائرة معارف للعلوم الإسلامية المتداولة في عصر المؤلف"[31].

جـ - مقدمة المعجم: ينطلق المؤلف في مقدمة المعجم من جانب أو بُعْد عقدي عندما يربط بين أهمية اللغة العربية ومعرفتها وبين الجوانب الدينية بقوله:

"فلما كان العلم باللغة العربية من الواجبات العقلية لتوقف العلوم الدينية عليها؛ وجب على المكلفين معرفته والعلم به" (32).

وينطلق المؤلف - بعد هذه الإشارة العقدية العامة - نحو إشارة عقدية أكثر خصوصية تعبر عن مذهبه واحتياجاته، تلك الاحتياجات التي كانت من أسباب وضعه هذا المعجم؛ إذ يقول:

"لم يكن لأحد من الأصحاب، ولا لغيرهم من أولي الألباب مصنف مستقل موضِّح لأخبارنا، مبيِّن لآثارنا. وكان جمع الكتب في كل وقت متعباً، وتحصيلها من آخرها معجزاً معجباً، ووفق الله سبحانه لبيته الحرام، وللحضرة الرضوية على مشرفها السلام، وظفرت هناك وهنالك بعدد عديد من الكتب اللغوية كصحاح الجوهري، ...، والقاموس، ...، وشرح النهج العجيب، ونحوها من الكتب المرضية والشروح المطلعة على النكت الخفية؛ حداني ذلك على الشروع في تأليف كتاب كافٍ شافٍ" (33).

يتضح من هذا النص أن الجانب العقدي عند الطريحي دفعه إلى تأليف معجمه، ولاسيما بعدما لاحظ قصور غيره، وعدم اهتمامهم بما يمثل الألفاظ الخاصة بالشيعة ومعتقداتهم، والمعاني التي تنقلها نصوصهم، ويؤكد هذا القول جمع من علماء الشيعة الذين قالوا إن الطريحي قد ملأ بمعجمه فراغاً لغويّاً كان يؤرق الكثير من الباحثين في أمهات الكتب الشيعية الإمامية وغيرها(34).

ويمكن التماس جانب آخر عقدي من تحديد الطريحي لمصادره التي اعتمد عليها في إعداد معجمه، فقد ذكر - إلى جانب المصادر اللغوية المحضة - مصدراً دينيّاً لغويّاً، وهو شرح نهج البلاغة الذي يُنسب إلى الإمام علي بن أبي طالب (ت 40هـ) الإمام الأول عند المسلمين الشيعة، ويعطي الاهتمام بمثل هذا النوع من المصادر إشارة تدل على أثر العقيدة في

اختيار المادة المعجمية، ولاسيما أن مثل هذه المادة كانت دافعاً رئيساً لصناعة هذا المعجم[35].

ويجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى أن هذه المقدمة دلت على منهج الطريحي في ترتيب مواده المعجمية إذ أوضح فيها أنه في معجمه اللفظي هذا اتبع منهج الصحاح في الترتيب؛ بمعنى أنه رتَّب جذور المعجم أو مداخله المعجمية بحسب الحرف الأخير من الجذر.

بعد عرض ما يرتبط بتعريف معجم مجمع البحرين، وترجمة مؤلفه الموجزة، وما اتصل بذلك من حديث حول مقدمة المعجم، ينتقل البحث الآن إلى استعراض نماذج معجمية على مستوى الألفاظ والمعاني واللغة التي صيغ بها المعجم بغية رصد شواهد دالة دلالة مباشرة ومبنية على أثر العقيدة الشيعية الإمامية على صناعة هذا المعجم، وذلك في السطور التالية:

د - متن المعجم ومادته المعروضة

يُقصد بهذا العنوان ما عرضه المعجم من ألفاظ أقام عليها معجمه، وما قدمه لهذه الألفاظ من معانٍ ودلالات تفيدها هذه الألفاظ بحسب مواضعات أهل اللغة واستعمالاتهم، ولما كان المعجم المدروس الآن ينتمي إلى معاجم الألفاظ اقتضانا منهجه البداية بالألفاظ، ثم إلحاق ذلك بالمعاني والدلالات لرصد أثر العقيدة في الصناعة المعجمية.

* الألفاظ

من الألفاظ التي ينفرد بها هذا المعجم عن غيره خضوعاً للتأثير العقدي ما يلي:

- البراجد: الحوائط السبعة التي وَصَّت بها فاطمة، عليها السلام.
- الجفر: كتاب لعلي - عليه السلام - قد ذكر فيه على طريقة علم الحروف الحوادث إلى انقراض العالم، وكان الأئمة من ولده يعرفونه ويحكمون به.

- شبر - شبير: وهما ابنا هارون - عليه السلام - سُمِّي بهما الحسن والحسين ابنا عليّ - عليه السلام - للمناسبة.
- فرطس: كجعفر، ملك من الملائكة عرضت عليه ولاية عليّ - عليه السلام - فأباها فكسر الله جناحه.
- يزدجر: اسم أحد الملوك، ومنه سلامة بنت يزدجر أم الإمام زين العابدين.[36]

ويتصل بجانب الألفاظ الخاصة الدالة على المذهب الشيعي، والموضحة للأثر العقدي في الصناعة المعجمية مسألة لافتة في معجم البحرين هي:

التركيز على ألقاب مذهب الإمامية، وهم اثنا عشر إماماً، ذكرهم الطريحي في مواضع متفرقة من معجمه، مثل المرتضى (ت 436هـ)، والباقر (ت 1313هـ)، والسجاد (ت 94هـ)، والكاظم (ت 1835هـ)، والرضا علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت 203هـ)، ... حتى المهدي آخر أئمة الشيعة الإمامية (يدعي الشيعة أنه حيٌّ غائب).[37]

ويلاحظ في محور اختيار الألفاظ أن المعجم قد تجنب ذكر بعض الأعلام على الرغم من أنه يكثر من ذكر الأعلام في منهجه، ولاسيما من يرتبطون بعلاقة عقدية وطيدة تناسب عقيدة صانع المعجم، فعلى سبيل المثال لم يذكر المعجم الصحابي عمرو بن العاص (ت 43هـ)، ويُرجح أن تجاهل ذكر عمرو جاء نتيجة لأسباب متصلة بالعقيدة؛ فعمرو بن العاص كان من أنصار معاوية بن أبي سفيان (ت 60هـ) خصم الإمام علي بن أبي طالب الذي خاض ضده معركة صفين في زمن خلافة علي بن أبي طالب كخليفة رابع للمسلمين، علاوة على الدور السلبي - كما يعتقد الشيعة - الذي لعبه عمرو بن العاص (ت 43هـ) في حادثة التحكيم الشهيرة، ولمقام علي العقدي عند الشيعة جاءت مثل هذه الانتقائية في أسماء الأعلام التي طرحها المعجم.

*** المعاني والدلالات**

يقصد بهذا الجانب من العمل المعجمي ذكر المعاني التي تفهم من

الألفاظ المعروضة في المعجم، سواء كانت هذه المعاني **عامة** تشمل مشتقات الجذر كلها، أم كانت **خاصة** بكل لفظ على حدة، وسواء كانت مباشرة حقيقية الوضع والعُرف والاصطلاح أم كانت مجازية أو هامشية إيحائية.

وهناك مسائل أو جوانب أخرى تتعلق بالجانب الدلالي في المعاجم كالترادف والاشتراك اللفظي وتعدد المعنى. والذي يهمنا هنا هو التقاط الأمثلة الدالة على أثر العقيدة في الصناعة المعجمية مما يتعلق بالمعاني والدلالات التي يذكرها الطريحي للألفاظ المعروضة في معجمه، وذلك فيما يلي:

- **الإمام**: قدوة للناس منصوب من قِبَل الله تعالى مفترض الطاعة على العباد، والإمامة هي الرياسة العامة على جميع الناس، فإذا أخذت لا لشرط شيء تجامع النبوة والرسالة، وإذا أخذت بشرط لا شيء لا تجامعها.
- **خُمْس**: اسم لحَقٍّ يجب في المال يستحقه بنو هاشم، وقد اختلف في كيفية القسمة . . . والظاهر منها عند فقهاء الإمامية أن تُقسم ستة أقسام؛ ثلاثة للرسول - صلى الله عليه وآله - في حياته وبعده للإمام القائم مقامه، وهو المعني بذي القربى، والثلاثة الباقية لمن سماهم الله تعالى من بني عبدالمطلب خاصة دون غيرهم.
- **الرجعة**: هي المرة في الرجوع بعد الموت بعد ظهور المهدي عليه السلام، وهي من ضروريات مذهب الإمامية. وعليها من الشواهد القرآنية وأحاديث أهل البيت - عليهم السلام - ما هو أشهر من أن يذكر.
- **الرافضة**: فرقة من الشيعة رفضوا، أي تركوا زيد بن علي - عليه السلام - حين نهاهم عن الطعن في الصحابة، فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه، ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة.
- **الشيعة**: الفرقة من الناس، . . .، وغلب هذا الاسم على كل من

يزعم أنه يوالي عليّاً وأهل بيته حتى صار لهم اسماً خاصّاً. فإذا قيل فلان من الشيعة عُرف أنه منهم، وفي الحديث: طال ما اتكؤوا على الأرائك وقالوا: نحن من شيعة علي[38]. ولعل هذا الحديث وغيره مما يقتضي بظاهره نفي الاسم عمن ليس فيهم أوصاف مخصوصة زيادة على المذكور المتعارف مخصوص بنفي الكمال من التشيع.

- **العترة**: الرهط، وهم رهط رسول الله، صلى الله عليه وآله. رهط الرجل قومه وقبيلته، وفي حديث الصادق - عليه السلام - مع آبائه عن الحسن بن علي - عليه السلام - قال: (سئل أمير المؤمنين - عليه السلام -: من العترة؟ فقال عليه السلام: أنا والحسن والحسين - عليهم السلام - والأئمة التسعة من ولد الحسين، عليهم السلام)[39].

- **عاشوراء**: وهو عاشر المحرم، وهو اسم إسلامي، وفي حديث مناجاة موسى - عليه السلام - قال يا رب بم فضلت أمة محمد - صلى الله عليه وآله - على سائر الأمم؟ فقال الله تعالى: فضلتهم بعشر خصال: ...، والعاشوراء. قال موسى: يا رب وما العاشوراء؟ قال البكاء والتباكي على سبط محمد - صلى الله عليه وآله - والمرثية والعزاء على مصيبة ولد المصطفى[40].

- **المعصوم**: الممتنع من جميع محارم الله، وعن علي بن الحسين: الإمام هنا لا يكون إلا معصوماً.

- **الغدير**: ...، "غدير خم" موضع بالجحفة، ويوم الغدير هو يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو اليوم الذي نصب به رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - عليّاً - عليه السلام - خليفة بحضرة الجمع الكثير من الناس حيث قال: من كنت مولاه فعلي مولاه[41].

- **كربلاء**: موضع معروف، وبها قبر الحسين بن علي بن أبي طالب، عليه السلام. روي أنه اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى بستين ألف درهم، وتصدق بها عليهم[42].

- **فدك**: قرية من قرى اليهود، وكانت لرسول الله – صلى الله عليه وآله – أعطاها رسول الله – صلى الله عليه وآله – لفاطمة – عليها السلام – وكانت في يد فاطمة – عليها السلام – إلى أن توفي رسول الله – صلى الله عليه وآله – فأُخذت من فاطمة بالقهر والغلبة.
- **الفاروق**: اسم سُمِّي به عليّ، عليه السلام.
- **فاطمة**: بنت رسول الله، صلى الله عليه وآله. روي أنها سميت فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار، وفُطم أعداؤها عن حبها[43].
- **ولاية العهد**: هي ولاية خاصة تعهد فيها الرضا – عليه السلام – للمأمون حين عرض عليه الولاية وهي بشرط ألا يأمر، ولا ينهى، ولا يفتي، ولا يولي، ولا يعزل، ونحو ذلك.[44]

وردت الكلمات السابقة كلها أو معظمها في المعاجم اللغوية لدى بقية المسلمين، ولكن المعاني والدلالات التي رصدت لهذه الكلمات لم تنص على الدلالات السابقة ذات الطابع العقدي الشيعي، أو أن هذه المعاجم ذكرت بعض الدلالات السابقة بصيغتها العقدية الشيعية ولكن بتعبيرات أقل حدة، وأقل غوصاً في التفصيلات المذهبية.

لكن الطريحي كان يسهب في بيان المعنى، وتحليله وإن اضطر إلى الخوض في تفصيلات فلسفية أو مرويات خاصة بهدف إضفاء الطابع العقدي على هذه الدلالات ومحاولة توضيح هذه الكلمات توضيحاً تامّاً، كما كان حريصاً على النص على هذه المعاني والدلالات وبيانها خوفاً من أن تكون مورداً من موارد الاحتجاج على المذهب، أو سبباً في إثارة الشبهات حول بعض أفكاره؛ فكان شرح هذه المعاني وتوضيحها وعرضها بهذه الطريقة دليلاً واضحاً على مدى تأثر صاحبها بعقيدته، بل حمايته لهذه العقيدة، والدفاع عنها.

*** الصياغة ولغة الشرح**

ونريد بهذا العنوان تلك الجمل والعبارات والألفاظ التي صاغ بها الطريحي معجمه وشرح معاني الكلمات، علاوة على طبيعة تعبيره في تناول

الاستطرادات والتعليقات الموزعة على مختلف صفحات المعجم عند تعامله مع المداخل المعجمية المتنوعة.

ويمكن صياغة معجم لغوي كامل بلغة شرح محايدة لا تستبين فيها عقيدة صاحب المعجم، وإن كان هذا صعباً، ومستبعداً، ولا نقول مستحيلاً . . . إلا أن الخبرة والتعامل مع المعاجم اللغوية العربية تقودنا إلى القول بأن العين المتأملة في صفحات المعاجم لا تخطئ عقائد صاحب المعجم المقروء، ومن هذه الزاوية نعرض للصياغة ولغة الشرح التي صيغ بها معجم (مجمع البحرين) من زاوية كشف هذه اللغة عن عقيدة الطريحي الشيعية إثباتاً لصحة الفرض، وتأكيداً للفكرة الأساسية للبحث.

يحرص الطريحي - انطلاقاً من التأثير العقدي لديه - في كل مورد يذكر فيه (الرسول) أو (رسول الله) أو (النبي محمداً) على كتابة عبارة (صلى الله عليه وآله وسلم)[45]. والملاحظ على هذه العبارة اقتران الصلاة على النبي فيها دائماً بذكر (آله) باعتبار المنزلة الإلهية الخاصة لأهل البيت التي يؤمن بها الشيعة، ويؤكد حرصهم هذا على ذكر (الآل) في الصلاة على النبي الرواية التي ينقلها الكليني (ت 329هـ) صاحب أحد أشهر كتب الحديث عند الشيعة بقوله:

"عن الإمام جعفر الصادق (ت 148هـ) - عليه السلام - قال: سمع أبي رجلاً متعلقاً بالبيت وهو يقول: اللهم صل على محمد. فقال له أبي: يا عبدالله؛ لا تبترها! لا تظلمنا حقنا! قل: اللهم صل على محمد وأهل بيته"[46].

ومن الملاحظ أيضاً إلحاق اسم كل إمام من الأئمة بعبارة (عليه السلام)، ويشمل هذا الدعاء كذلك فاطمة بنت النبي محمد، صلى الله عليه وآله وسلم. ويأتي هذا الشمول انطلاقاً من توقير الشيعة الإمامية لأئمتهم ولفاطمة باعتبارهم من أهل بيت النبوة[47].

ويحرص الطريحي أيضاً على وضع الرمز (ره) اختصاراً لعبارة (رحمه الله) عقب ذكره علماء الشيعة كالصدوق[48] في الوقت الذي لا يلحق باسم الخلفاء كأبي بكر (ت 13هـ)[49] وعمر (ت 23هـ)[50] وكثير من الصحابة[51] أو

بعض العلماء من مذهب أهل السنة كأبي حنيفة (ت 150هـ)[52] بأي دعاء، أو تعظيم، وهناك من يُذْكر دائماً باللَّعْن، أي بالدعاء عليه باللعن، وهو (يزيد بن معاوية) (ت 64هـ)[53] لقتله الحسين سبط النبي في كربلاء، حيث يُعَدّ الحسين (ت 61هـ) أحد الأئمة لدى الشيعة الإمامية.

ويلاحظ أن الصياغة ولغة الشرح عند محاولة تفسير معاني المفردات كانت تتأثر بجوانب دينية تخص عقيدة صاحب المعجم؛ حيث يغوص صاحب المعجم في استدلالات **فقهية وعقدية** تتعلق بصورة أو بأخرى باللفظ أو بالمعنى الذي هو بصدده، ويحدث ذلك - أحياناً - لتثبيت أفكار معينة تخص معتقدات هذه الطائفة، ويريد الطريحي - بوصفه صاحب طرح لغوي - إبداء تأييده لها لإعطائها صفة الصحة والصواب، ومن أمثلة مناقشة **القضايا العقدية** مسألة معنى (مولى)؛ إذ يناقشها الطريحي بشكل عقدي في معجمه ينتصر فيه للرأي الشيعي الشارح لهذه اللفظة، فقد وردت في أحد أهم الأحاديث التي يستند إليها الشيعة في إثبات الخلافة لعلي بن أبي طالب بعد الرسول (ﷺ) وتقرير معناها يترتب عليه الشيء الكثير؛ حيث يقول الحديث المروي عن النبي (ﷺ):

"من كنت مولاه فعلي مولاه" [54].

واحتج جماعة من المسلمين على الشيعة بأن لفظة (مولى) لها أكثر من معنى، كالناصر، والعبد، ومالك العبد. وليس من الضرورة أن يكون النبي (ﷺ) قد قصد في هذا الحديث تولية علي بن أبي طالب أمر المسلمين كما يعتقد الشيعة[55].

لذلك قدم الطريحي رأياً تفصيليّاً قال فيه في رده على مثل هذه الآراء عند شرحه لمعنى كلمة "مولى":

"وفي الحديث المشهور عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: "من كنت مولاه فعلي مولاه". قيل في معناه: أي من أحبني **وتولاني** فليحبه **وليتوله**. وقيل: أراد **ولاء** الإسلام كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وقول عمر: "أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة"[56].

وفي معاني الأخبار: "المولى في اللغة يحتمل أن يكون مالك الرق كما يملك المولى عهده، وله أن يبيعه أو يهبه، ويحتمل أن يكون المعتق من الرق، ويحتمل أن يكون المولى المعتق، وهذه الأوجه الثلاثة مشهورة عند الخاصة والعامة، فهي ساقطة في قول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -؛ لأنه لا يجوز أن يكون عنى بقوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه" واحدة منها؛ لأنه لا يملك بيع المسلمين، ولا عتقهم من رق العبودية، ولا أعتقوه، صلى الله عليه وآله وسلم.

ويحتمل أن يكون المولى ابن العم، قال الشاعر:

مَهْلاً بَنِي عَمِّنَا مَهْلاً مَوالينا لا تَنْبُشُوا بَيْنَنا ما كانَ مَدْفونا[57]

ويحتمل أن يكون المولى: العاقبة، قال الله عز وجل: **مَأْوَاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ**، أي عاقبتكم، وما يؤول بكم الحال إليه، ويحتمل أن يكون المولى لما يلي الشيء، مثل خلفه وقدامه، قال الشاعر:

فَغَدَتْ كلا الفَرْجَينِ تَحْسَبُ أَنَّهُ مَوْلى المخافةِ خلفُها وأَمامُها[58]

ولم نجد أيضاً شيئاً من هذه الأوجه يجوز أن يكون النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عناه بقوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه"؛ لأنه لا يجوز أن يقول: من كنت ابن عمه فعلي ابن عمه؛ لأن ذلك معروف ومعلوم وتكريره على المسلمين عبث وبلا فائدة، وليس يجوز أن يعني به عاقبة أمرهم، ولا خلف، ولا قدام؛ لا معنى له ولا فائدة.

ووجدنا اللغة تجيز أن يقول الرجل: "فلان مولاي" إذا كان مالك طاعته، فكان هذا هو المعنى الذي عناه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بقوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه"[59].

وبهذه الطريقة من المناقشة تتضح أهمية صناعة معجم ينطلق فيه صانعه من عقيدته الدينية لمناقشة مثل هذه القضايا التي يتأتى له من خلالها إثبات وجهة نظر طائفته والدفاع عنها.

أما مناقشة **القضايا الفقهية** في سياق حديثه حول الألفاظ ومعانيها، فنجده

يحاول استغلال تلك المساحة لإبراز عقيدته الدينية و تثبيت آرائها، وهذا حتماً يشير من جديد إلى أثر العقيدة في الصناعة المعجمية، فمن هذه القضايا قضية الخمس التي يفرضها علماء الشيعة الإمامية على جميع ما يربحه الإنسان فيما دار عليه الحول حيث يستنبط الشيعة هذا الحكم من قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾[60]، معتمدين في هذا الاستنباط على معنى (غنمتم) الذي يتحمل الدلالة - من وجهة نظرهم - على كل ربح يكتسبه الإنسان[61].

وفي (مجمع البحرين) يهتم الطريحي بإثبات هذا المعنى في مادة (غنم)، وجاء ذلك نتيجة تأثير عقيدة صاحب المعجم على معجمه، يقول في معنى (غنم) ما نصه:

قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: 41]. الغنيمة في الأصل هي الفائدة المكتسبة، ولكن اصطلح جماعة على أن ما أُخذ من الكفار إن كان من غير قتال فهو فيء، وإن كان مع قتال فهو غنيمة، وإليه ذهب الإمامية وهو مروي عن أئمة الهدى، عليهم السلام، كذا قيل، وقيل: هما بمعنى واحد.

ثم اعلم أن الفيء للإمام خاصة، والغنيمة يخرج منها الخمس، والباقي بعد المؤن للمقاتلين ومن حضر هذا، وقد عمم فقهاء الإمامية مسألة الخمس، وذكروا أن جميع ما يُستفاد من أرباح التجارات والزراعات والصناعات زائداً عن مؤنة السنة، والمعادن، والكنوز، والغوص، والحلال المختلط بالحرام، ولا يتميز عند المالك ولا يعرف قدر الحرام، وأرض الذمي إذا اشتراها من مسلم وما يغنم من دار الحرب، جميعه يخرج منه الخمس هذا.

وقد تقدم في (خمس) كيفية التقسيم للخمس[62].

*** طرق الشرح**

يناط بمعاجم الألفاظ - ومنها معجم (مجمع البحرين) - أداء مجموعة من الوظائف اللغوية، أهمها على الإطلاق شرح المعنى اللغوي الذي تشير إليه

اللفظة المعروضة في المعجم[63]. واستخدمت المعاجم العربية على مر التاريخ عدة طرق لشرح هذا المعنى وتفسيره، منها ذكر الشواهد والأمثلة التي توضح المعنى المراد، أو تثبت صحته، أو تؤكد استعماله وتداوله[64].

والذي يهمنا في هذا البحث استعراض بعض المواطن التي لجأ فيها الطريحي إلى استعمال هذه الطريقة بما يكشف عن عقيدته الدينية ويبرزها بصورة تؤكد صحة الفرض الذي طرحه البحث، وقد لوحظ أن هذه الطريقة قد تأثرت مصاديقها بعقيدة صانع المعجم؛ إذ ينزع إلى استخدام طائفة من الشواهد والأمثلة المستوحاة من ثقافته الدينية التي تعكس عقيدته الشيعية، ويمكن عرض ذلك على النحو التالي:

الاستشهاد بالقرآن الكريم

يكاد العلماء والدارسون يتفقون على أن القرآن الكريم كان محور الدراسات اللغوية كلها عند المسلمين، واهتمت المعاجم اللغوية بشرح ألفاظه وتبيان معانيه، كما اهتمت بذكر الشواهد القرآنية، وكان معجم (مجمع البحرين) ممن سار على هذا النهج في الاهتمام بالقرآن الكريم، والذي نعرض له هنا هو المواضع الدالة على بروز أثر العقيدة الدينية الشيعية في عملية الاستشهاد بالقرآن نفسها بوصفها جزءاً من طرق شرح المعنى في المعجم.

ومن أبرز المواضع في هذا المقام الاستشهاد بالقراءات القرآنية المنقولة عن طرقهم، ولاسيما قراءة علي بن أبي طالب. ومثال ذلك ما نقله الطريحي عند شرحه كلمة (ختام) بقوله: "قوله: ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسۡكٌ﴾[65]، أي خمر صافية من كل غش مختوم في الآنية بالمسك، وهو غير الخمر الذي يجري في الأنهار، ...، ويقال: ختامه: مزاجه. وقيل: طعمه: وقرئ (خاتمه مسك)، وهي قراءة علي عليه السلام. ذكره بعض المفسرين"[66].

ويلجأ الطريحي في مواضع كثيرة إلى توجيه الدلالة للشاهد القرآني - الذي يستخدمه في شرح المعنى - بطريقة تخدم الغرض العقدي الشيعي، وذلك في كل موضع تسنح له الظروف، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[67]. روي: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو ذلك الإمام، وروي: أنه (عليه السلام) مر بأصحابه على وادٍ يضطرب نملاً، فقال بعضهم: سبحان من يعلم عدد هذا النمل، فقال (عليه السلام): لا تقل كذا قل: سبحان من خلق هذا النمل، فقال: كأنك تعلمه يا أمير المؤمنين. قال: نعم والله إني لأعلمه وأعلم الذكر منه من الأنثى، فلم تطب نفسه إلى ذلك، فقال (عليه السلام): أو ما قرأت يس؟ فقال بلى: قال: فما قرأت قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[68].

وغير ذلك كثير، لا تخلو منه صفحة من صفحات المعجم، مما يؤكد الطابع العقدي ويبرزه بوضوح.

الاستشهاد بالأحاديث والروايات

يستشهد الطريحي بأحاديث شريفة مروية عن النبي (ﷺ)، وهو بذلك يشترك مع غيره من علماء المسلمين من صناع المعاجم إلا أن نقطة الاختلاف هي أن الطريحي يستشهد بأحاديث نبوية مروية بطرق شيعية تعبر عن معتقدات الطائفة، تلك الأحاديث التي – ربما – لا يرويها غيرهم مثل قوله:

"وفي حديث رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: سلموا على عليّ بإمرة المؤمنين"[69] عند شرحه لمعنى كلمة (إمْرة).

ومن استشهادات الطريحي بالحديث النبوي الذي يعبر عن عقائد شيعية من خلال نصه ودلالاته ما يلي:

"عن الأصبع بن نباتة قال: سمعت ابن عباس يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ذِكْرُ الله تعالى عِبادةٌ، وذِكْرِي عبادةٌ، وذِكْرُ عليٍّ عبادة، وذِكْرُ الأئمة عبادة، والذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية إنّ وصيّتي لأفضل الأوصياء، وإنه لحجة الله على عباده، وخليفته على خلقه، ومن ولده الأئمة الهداة بعدي، بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض، وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض، وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم، وبهم يسقي خلقه الغيث، وبهم يخرج النبات، أولئك أولياء الله حقّاً، وخلفاؤه صدقاً،

عدتهم عدة الشهور، وهي اثنا عشر شهراً، وعدتهم عدة نقباء موسى بن عمران، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾[70]، ثم قال: أتزعم يا ابن عباس أن الله يقسم بالسماء ذات البروج يعني به السماء وبروجها؟ قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فما ذاك؟ قال: أما السماء فأنا، وأما البروج فالأئمة بعدي، أولهم علي وآخرهم المهدي (صلوات الله عليهم أجمعين)"[71].

كما يحرص الطريحي على الاستشهاد بمجموعة كبيرة من الروايات المنقولة عن **أئمة الشيعة** بدءاً من علي بن أبي طالب وانتهاء بالمهدي آخر أئمة الشيعة، ومن هذه الروايات:

"عن الحسن بن علي (ت 49هـ) - عليهما السلام -: هو أن آسية امرأة فرعون كلما أراد فرعون أن يمسها تمثلت له شيطانة يقاربها"[72].

الاستشهاد بالدعاء

للشيعة موروث زاخر من الأدعية المنقولة بطرقهم الخاصة، وهم يتوجهون بها إلى الله تعالى كسائر المسلمين[73]. وانطلاقاً من هذا الموروث الديني يقوم الطريحي بشرح معاني بعض الكلمات، وتأكيد سياقاتها من خلال الاستشهاد بتلك الجمل الدعائية، كقوله عن شرح معنى كلمة (عضد):

"والأخبار قد يعضدها كذا أي يقويها، من عضدته إذا قويته. وفي الدعاء: "أنت عضدي"، أي أنا بك أتقوى وأنتصر"[74]. ومن ذلك أيضاً قوله عند شرحه لمعنى (خاتمة):

"خاتمة العمل: آخره، ومنه الدعاء: "اللهم إني أستودعك خاتمة عملي"[75].

الاستشهاد بالشعر

ربما لا يكتسب الشعر بذاته قيمة دينية إلا أن المعاني التي يعبر عنها هذا الشعر، أو استدعاء الموقف الذي قيل فيه، أو مكانة قائل الشعر نفسه ومنزلته لدى طائفة من الناس هي التي تجعله حظيّاً لديها؛ ومن هنا لجأ الطريحي إلى

استخدام مثل هذا الشعر في شرح الكلمات، وتأكيد سياقاتها منطلقاً من تأثير عقدي برز وانعكس على واقع معجمه. ومثال ذلك قوله عند شرحه لكلمة (تميمة):

"التميمة: عوذة تُعلق على الإنسان، ومنه شعر أبي الأسود الدؤلي في عليّ بن الحسين - عليهما السلام -:

أَلَيْسَ غلامٌ بينَ كِسْرى وظالم   لأكرم مَنْ نِيطتْ عليه التَّمائمُ[76]

ونقل أن الحسن بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام - عاد معاوية في مرضه، فلما رآه معاوية قام، وتجلد، وأنشد يقول:

وتَجَلُّدِي للشَّامتينَ أُريهمُ   أَنّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ[77]

فأجابه الحسن - عليه السلام - على الفور:

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها   أَلْفَيْتَ كُلَّ تَميمةٍ لا تَنْفَعُ[78]

وكان تسميتها تميمة لما يعتقد من أنها تمام الدواء والشفاء"[79].

ولعل أوضح الاستشهادات بالشعر لإبراز الجانب العقدي في الصنعة المعجمية ما أورده الطريحي على لسان محمد بن أبي بكر الصديق (ت 38هـ). يقول الطريحي:

ونُقل عن بعض الأفاضل أنه - أي محمد بن أبي بكر - أنشد أباه عندما نهاه عن ولاء أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه الأبيات:

"يا أبانا قَدْ وَجَدْنا مَنْ صَلَحْ   خابَ مَنْ أَنْتَ أَبوه وافْتَضَحْ
إنَّما أَنْقَذَني مِنْكَ الَّذِي   يُنْقِذُ الدُّرَّ مِنَ الماءِ المَلِحْ
يا بَنِي الزَّهْراءِ أَنْتُمْ عُدَّتِي   وَبِكُمْ في الحَشْرِ مِيزاني رَجَحْ
أنا قَدْ صَحَّ ولائي فِيكُمُ   لا أُبالي أَيُّ كَلْبٍ قَدْ نَبَحْ"[80]

الاستشهاد بآراء العلماء

يستشهد الطريحي كذلك بآراء علماء الدين الشيعة عند شرحه للكلمات منطلقاً - كعادته - من عقيدته كاستشهاده التالي عند شرح كلمة (مثاني):

"وفي حديث أهل البيت: نحن المثاني التي أعطاها الله نبينا. ومعنى ذلك على ما ذكره الصدوق رحمه الله: نحن الذين قرننا النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – إلى القرآن، وأوصى بالتمسك بالقرآن وبنا" [81].

رؤية تحليلية للظاهرة المدروسة

تبين لنا بعد افتتاحية البحث، وتحديد فكرته العامة، وإبراز فرضية تأثر صناع المعاجم اللغوية بعقائدهم الدينية، وظهور أثر هذه العقائد على صفحات معاجمهم التي تركوها، تبين لنا أن اختلاف الناس في الطبائع والعادات والمعتقدات والأفكار والتخصصات أمر طبيعي، وهو من سنن الله في خلقه، ولذلك خلقهم: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[82].

وتحسن الإشارة – بادئ ذي بدء – إلى أن التأثر بالعقيدة عند صناعة المعاجم قد يكون أمراً مقصوداً تارة، وغير مقصود تارة أخرى، وإن كانت الثمرة المحققة واحدة من حيث الواقع العملي، والنتيجة متشابهة نظراً لتأثر مادة المعجم بتلك العقيدة.

ويقصد **بالتأثر العقدي غير المقصود**: ما لا يملك الإنسان التحكم فيه؛ لولوجه في مكوناته الداخلية المنطبعة بعوامل التنشئة التربوية والثقافية للإنسان في البيئة التي عاش فيها. وهذا النوع من التأثر العقدي لو أراد الإنسان كبح جماحه، وكتم نوازعه ما استطاع، ولو استطاع، وهذا مستبعد، لظهرت نتائجه ظهوراً واضحاً، أو ظهوراً جزئيّاً.

ومن المسلَّم – فيما يتصل بهذا النوع كذلك – أن الشخص لو أراد له الظهور على السطح لظهر بصورة قوية يشهد بها، ويشاهدها كل متأمل.

أما **التأثر العقدي المقصود** فهو الناشئ عن الرغبة والإرادة وعقد النية لدى الإنسان لإظهار أساسيات العقيدة الدينية المعتنقة، وإبراز أصولها، وتمييز مفرداتها ومفاهيمها وجَعْل ذلك كله وما يتصل به يقف واضحاً شامخاً بإزاء أساسيات عقائد أخرى وأصولها ومفاهيمها.

وهذا النوع من التأثر المقصود يشعر به القارئ المتأمل بصورة تكون أوضح وأقوى من النوع الأول.

ويتفرع عما سبق - فيما يتصل بالصناعة المعجمية - ما إذا كان المعنى المعجمي المعروض في المعجم مما يعبر عن **حالة إدراك عامة مشتركة** لدلالة اللفظ؛ لأن هذه الدلالة تشير إلى ما هو معلوم عند أبناء اللغة الواحدة لوقوع هذه الدلالة في دائرة خبراتهم جميعاً، كما يشير علم المنطق إذا كان الأمر كذلك فلماذا يحدث هذا الاختلاف في المعاني المفهومة من اللفظ الواحد، ولماذا يحدث الاختلاف في الألفاظ المستعملة مما يظهر أثره في صفحات المعجم المعين؟[83]

يتلخص جواب التساؤل السابق في وجود عوامل كثيرة وراء هذا الاختلاف في استعمال الألفاظ، أو فهم دلالاتها، وفي مقدمة هذه العوامل ذلك العامل الفطري الذي فطر الله الناس عليه، وهو أنه - سبحانه - خلقهم مختلفين، وأن اختلاف ألسنتهم وألوانهم آية من آيات الله عز وجل. والعامل الثاني أثر البيئة في الاختلاف اللغوي من حيث الألفاظ، ومن حيث الدلالات، ونقصد باختلاف الألفاظ إيثار بيئة جغرافية، أو اجتماعية ثقافية استعمال لفظ ما، وإيثار بيئة أخرى استعمال لفظ آخر للتعبير عن معنى واحد متداول في كلتا البيئتين، والأمثلة على ذلك قديماً وحديثاً في اللغة العربية أكثر من أن تحصى، وأوضح من أن يشار إليها.

أما الاختلاف من حيث الدلالات فقد يكون المعنى العام، أو الأساسي واحداً، ولكن تصور المعاني الهامشية أو الجزئية أو الجانبية لهذا المعنى يختلف باختلاف البيئات، والطبقات والثقافات، بل يصل - عند التدقيق العلمي - إلى الاختلاف باختلاف الأشخاص والأفراد نتيجة التجارب الذاتية، والأمثلة في هذا المجال كذلك أكثر من أن تُحصى، وإن كنا نرى التذكير والتمثيل فقط بدلالات الكلمات الآتية، والاختلاف في تصورها، وفهمها، واستقبال إيحاءاتها الخاصة، ومن هذه الكلمات:

أمير المؤمنين – الإمام – الإمامة – الوصية – آل البيت – أهل السنة – الشيعة – المعتزلة – الخوارج، . . . إلخ.

وإذا تساءلنا عن طبيعة هذه الاختلافات في بيئتها العربية، وظهورها على صفحات معاجمنا اللغوية لوجدناها اختلافات جزئية، خاصة؛ لأن هناك درجة من الاشتراك في المعنى العام، ولأن مقدار الاختلاف الجزئي الخاص ليس شائعاً بين الجميع، وإنما هو محصور بين فئة معينة وفي إطار بعينه.

يُضاف إلى ذلك ما يراه (جون سيرل) من أن معرفة الإنسان بالأشياء يصعب عزلها عن ذاته، وما تحمله من هوية وانطباعات. يقول:

"إن معرفتنا بالواقع لا يمكن أبداً أن تكون (غير موسوطة)، بل تتوسط فيها دائماً وجهة نظر معينة، أو مجموعة من النوازع، كالانحياز إلى جماعة، أو أيديولوجيا سياسية، . . .، وما من أحد يصور الواقع مباشرة كما هو في ذاته، بل يقاربونه من خلال ميولهم الشخصية بما فيها من افتراضات وتصورات مسبقة" (84).

يصدق الكلام السابق في معظمه على التأثر العقدي غير المقصود، أما التأثر العقدي المقصود، والمتعمد فيكون سدّاً لاحتياجات طائفة لغوية، أو دينية معينة، وتعبيراً عن ثقافتها، وأفكارها بالشكل الذي يلبي حاجاتها، وترتضيه هذه الطائفة أو الجماعة.

وهذا النوع من التأثر حق مشروع لأي إنسان ما دام يلتزم المنهج العلمي. ولكن يبقى سؤال مطروح بقوة، وهو:

لماذا لم يبادر المعجميون من غير الطوائف التي عرضنا لها إلى تناول ألفاظهم وشرح دلالاتها بالطرق التي تعبر عن ثقافتهم، وتكشف عن معتقداتهم؟

والسؤال بصيغة أخرى:

لماذا لم يلجأ الخليل بن أحمد (ت 170هـ)، أو الأزهري (ت 370هـ)، أو الجوهري (ت 393هـ)، أو ابن منظور، وغيرهم إلى ما لجأ إليه الزمخشري

(ت 538هـ) أو الطريحي (ت 1085هـ) أو البستاني (ت 1300هـ) لإظهار أثر العقيدة في المعاجم التي صنعوها؟

إن محاولة الإجابة عن هذا التساؤل تكشف بصورة أو أخرى جوانب مهمة من التأثر العقدي المقصود، ذلك النوع الثاني الذي نتكلم عنه الآن.

لعل الذي عرضه هؤلاء المعجميون (العاديون) يشير إلى أنهم كانوا لا يشعرون بالواجب العقدي الملقى على عاتقهم، أو بأنهم يعبرون عن عقيدة أهل السنة، أو أن هذا من مهامهم.

وقد يكون السبب متصلاً بالظروف السياسية المحيطة بزمن صناعة المعجم؛ إذ حالت تلك الظروف دون التطرق لعرض آراء الطوائف الأخرى وأفكارهم وألفاظهم، تلك التي كانت على خلاف مع بعض الحكام حول اقتسام السلطة، أو حول الخلافة. والدليل على صحة هذا السبب وتدخله في الصناعة المعجمية أن التاريخ قد صور فظائع التنكيل ببعض العلماء لمجرد تعبيرهم عن آرائهم؛ فلا ضير أن يكون صناع المعاجم من الذين احتاطوا لأنفسهم بعدم ذكر خصوصيات معتقدات الآخرين حتى لا يحسبوا عليهم أو يُلحقوا بهم فينالهم ما ينال غيرهم.

وقد يكون من هذه الأسباب ما يتصل بالجانب الديني؛ فمن يَعِشْ حالة من التطرف الديني المناهض لعقائد الآخرين لإيمانه بضلالها، ومعارضتها لثوابته الدينية قد يدفعه تطرفه هذا إلى إلغاء مثل تلك الثقافة.

وهذا يمكن تسويغه وتعليله بأن صناع المعاجم العامة، ولاسيما القدماء منهم، قد عاشوا في أزهى عصور الإسلام، وتصدوا للموجات التي تحاربه من الطوائف المختلفة بقوة، بل اعتبروهم في أحيان كثيرة أعداء لهم، . . . فكيف يمكن لهم بعد ذلك كله أن يميلوا إلى ثقافة الأعداء، أو أن يعرضوا لها، ويُعرِّفوا بها مع أن الموقف العلمي، والموضوعية يقتضيان ذلك؟

على أن هناك - غير ما سبق - من الأسباب ما يرتبط ببعض القضايا اللغوية، فكثير من الألفاظ المسيحية معرب، أو دخيل، وكثير منها غير شائع

الاستعمال خارج الطائفة المسيحية، ولا يهم الجماعة اللغوية العامة التي تؤلف المعاجم اللغوية لها؛ ومن ثم لم يهتم بها أصحاب المعاجم اللغوية حرصاً على نقاء العربية، أو نتيجة لعدم الاقتناع بحقيقة دخول مثل تلك الألفاظ إلى مجال العربية المستعملة؛ لأن كثيراً من هذه الألفاظ يكون موضعها المناسب هو المعجم المتخصص، وليس المعاجم اللغوية العامة.

ويلاحظ أن بعضاً من ألفاظ هذه الطوائف، ومعانيها قد ذاع وانتشر حديثاً بين أوساط الناس نتيجة عصر العولمة وتطور وسائل الاتصال وازدهار الإعلام، وانفتاح الشعوب والجماعات بعضها على بعض، والدليل على ذلك أن ألفاظ مثل هذه الطوائف معروض أكثرها في المعاجم الحديثة كالوسيط، في الوقت الذي لم تذكر فيه على صفحات المعاجم اللغوية القديمة كالصحاح مثلاً.

الخاتمة

ثبت أن الفرض الذي طرحه البحث صحيح، كما دلت الشواهد على ثبوته والتأكد منه، وبرز ذلك على صفحات المعاجم المدروسة، في بعض المداخل المعجمية، أو بعض الألفاظ المعروضة ضمن هذه المداخل، أو في بعض المعاني والدلالات التي تشير إلى هذا الأثر العقدي، أو في طرق الشرح التي استعملتها تلك المعاجم، أو في لغة الشرح نفسها.

وقد ظهرت هذه الآثار العقدية دون أن تضطرب المعاجم التي أبرزتها، ودون أن تفقد ملامح الصناعة المعجمية أو تخالف أصول هذه الصناعة؛ الأمر الذي يعطي هذه المعاجم مصداقيتها اللغوية.

الهوامش والمراجع

(1) يراد من "العقيدة" هنا: ما يدين به الإنسان؛ فاعتقدت كذا أي عقدت عليه القلب والضمير (انظر مادة (ع ق د): الفيومي المقري، أحمد بن محمد: **المصباح المنير**، القاهرة: دار الحديث، 2003م.

فهي مأخوذة من اعتقد فلانٌ الأمر: صدّقه وعقد عليه قلبه وضميره (انظر: مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، القاهرة، 2004م. مادة ع ق د، ص614)، ويمكن تعريفها بأنها:

"الأمور التي يجب أن يصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس حتى تكوّن يقيناً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك"، (الأثري، عبدالله بن عبدالحميد: **الوجيز في عقيدة السلف الصالح**، مراجعة: الشيخ صالح آل الشيخ، المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية، 1422هـ، ص30)، وهذا الثبات في القلب هو ما يعطي الإنسان التوجيهات المنهجية المؤثرة في حياته. هذا عن المراد بالعقيدة، أما المراد من "الصناعة المعجمية" فهو: "كل ما يرتبط بالعمليات الإجرائية والتنفيذية لعمل معجم، بدءاً من التصور المبدئي، وانتهاء بإخراجه في صورته النهائية، وما تتضمنه تلك العمليات من تحديد المداخل المعجمية، وتقديم شروح مفرداتها، وغير ذلك من مكونات أي معجم"، (انظر: عمر، د. أحمد مختار: **صناعة المعجم الحديث**، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1998م، ص15.

(2) قد يفضل بعضهم أن يبتعد عن دراسة مثل هذه الموضوعات؛ لأنها تثير شيئاً من "الحزازات"، نتيجة حساسية الناس من التعرض لمعتقداتهم، وأفكارهم، فهذا الجانب يُصنَّف بوصفه من قضايا المحظورات، أو "التابو" أو اللامساس، لكن البحث يتجه إلى دراسة هذا الموضوع ضمن الإطار العلمي متسلحاً بطرقه وأدواته، مبتعداً عن أي تجريح أو تقليل من شأن الناس، وعقائدهم، مستهدفاً تحقيق الفائدة العلمية البحثية في ميدان الدراسات المعجمية.

والذي دفعنا إلى ذلك هو أن الخوض في حقل الدراسات المعجمية يفتح مجالات عدة لدراسة المعاجم، منها ما يتعلق بالجانب الفني المباشر الذي أنتجه صانع المعجم، أي الجانب التقني، أو الإجرائي مما يتصل بأصول الصنعة، وإجراءاتها، وأدواتها وطرقها، وخطوات العمل فيها. ومنها ما يتعلق بالجانب الفكري الملازم لصناعة المعجم، إلى غير ذلك من قضايا ترتبط بالمعاجم، وتتصل بها.

ويحاول البحث - في ذلك الإطار - دراسة ظاهرة معجمية لوحظت بقوة في بعض المعاجم اللغوية العربية، وتقديم نماذج وتحليلات لها للكشف عن حيثياتها ومدى تأثيرها في المادة المعجمية التي نتداولها بين أيدينا بوصفنا مستعملين لها.

(3) سورة الروم، الآية: 22.

(4) سورة هود، الآية: 118.

(5) ابن منظور الإفريقي المصري، جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ج2، القاهرة: دار الحديث، 2006م، مادة (ح م د)، ص585.

(6) انظر: البستاني، بطرس: **محيط المحيط**، بيروت: مكتبة لبنان، 1998م، مادة (ح م د)، ص192.

(7) الطريحي، فخر الدين بن محمد: **مجمع البحرين**، مج1، تحقيق: أحمد الحسيني، ط1، بيروت: دار التاريخ العربي، 2007م، مادة (ر ض ا)، ص119

(8) حول ترجمة الزمخشري، انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق إبراهيم الإبياري، ج20، القاهرة: دار المعارف، 1957م، ص151-152،

وانظر: الزمخشري، محمود بن عمر: **معجم أساس البلاغة**، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001م.

(9) انظر: الذهبي، د. محمد حسين: **التفسير والمفسرون**، ج1، ط2، القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1976م، ص368 وما بعدها.

(10) انظر: تباعاً: أساس البلاغة ص 25، 41، 56، 155، 75، 97، 128، 170، 93، 129.

(11) انظر: نصار، د. حسين: **المعجم العربي نشأته وتطوره**، ج2، ط4، القاهرة: مكتبة مصر، 1988م، ص568 وما بعدها.

(12) الشرتوني، سعيد: **أقرب الموارد**، ط2، بيروت: مكتبة لبنان، 1992م، المقدمة.

(13) انظر: كشلي، د. حكمت: **تطور المعجم العربي**، ط1، بيروت: دار المنهل اللبناني، 2002م، ص59 وما بعدها.

(14) انظر: أقرب الموارد، الخاتمة.

(15) يقول الدكتور حسين نصار: "زاد المؤلف أشياء، وحذف أخرى، وتصرف في أمور. أما الأمور التي زادها فمنها الألفاظ والمعاني المولدة، والعامية، **والمسيحية**". انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره، ج2، ص569.

(16) انظر: محيط المحيط، الغلاف.

(17) انظر: المعجم العربي نشأته وتطوره، ج2، ص569.

(18) حول كلمات محيط المحيط انظر تباعاً ص 8، 11، 19، 26، 37، 41، 43، 360، 370، 631، 869، 848، 839، 848.

(19) انظر: المعجم الوسيط، (إنجيل)، ص 29

(20) معلوف، لويس: **المنجد في اللغة**، ط35، قم: مؤسسة انتشارات دار العلم، (د. ت). وانظر: دار المشرق: **المنجد في اللغة و الأعلام**، ط 41، بيروت: المكتبة الشرقية، 2005 م.

(21) انظر تباعاً: المنجد ص 8، 584، 10، 13، 15.

(22) انظر تباعاً: المنجد ص 1، 2، 3، 13.

(23) انظر تباعاً: المنجد ص 18، 19، 5، 5.

(24) انظر تباعاً: المنجد ص 10، 10، 10، 10، 333، 338، 11، 12، 16، 16، 17، 19، 19، 19، 21، 21، 21، 22، 22، 206، 206، 214، 10، 11، 21، 22، 580، 583، 213، 220، 6، 22، 22، 572، 574، 575، 577، 579، 591، 809، 13، 576، 371، 400.

(25) **المنجد في اللغة العربية المعاصرة**، ط2، بيروت: دار المشرق، 2001م.

(26) انظر تباعاً: المنجد في اللغة العربية المعاصرة ص 199، 217، 217، 318، 319، 489، 556، 833، 842، 850، 851، 922، 1244، 1245.

(27) السبحاني، جعفر: **المذاهب الإسلامية**، ط2، قم: مؤسسة الإمام الصادق، 1427هـ، ص146.

(28) حول ترجمة الطريحي. انظر: مجمع البحرين، المقدمة، ص5 وما بعدها.

(29) الخوئي، أبو القاسم: **معجم رجال الحديث**، ج14، ط5، (د. د)، (د. م)، 1992م، ص271.

(30) انظر مركز المعجم الفقهي ومركز المصطفى للدراسات الإسلامية، قرص مدمج، برنامج مكتبة أهل البيت، الإصدار الأول، إيران، 2005م.

(31) مجمع البحرين، ج1، ص310.

(32) السابق، المقدمة، ص13.

(33) السابق، الصفحة نفسها.

(34) انظر: العاملي، السيد محسن الأمين: **أعيان الشيعة**، ج1، إيران: مركز المصطفى، (د. ت)، ص121.

(35) انظر: مجمع البحرين، المقدمة، ص13.

(36) انظر تباعاً: مجمع البحرين، مج 2 / ص 11، 2 / 154، 2 / 213، 2 / 381، 2 / 197.

(37) انظر تباعاً: مجمع البحرين، مج 1 / ص 120، 2 / 142، 2 / 42، 3 / 414، 1 / 119، 1 / 289.

(38) انظر: الكليني، محمد بن يعقوب (ت 329 هـ): أصول الكافي، ج8، طهران: دار الكتب الإسلامية، 1388هـ، ص 228.

(39) المجلسي، محمد باقر (ت1110هـ): **بحار الأنوار**، ج25، بيروت: مؤسسة الوفاء، 1403هـ، ص271.

(40) النوري الطبرسي، الحسين بن محمد تقي (ت 1320هـ): **مستدرك الوسائل**، ج10، قم: مؤسسة آل البيت، 1407هـ، ص318 – 319.

(41) أصول الكافي، ص 319.

(42) الحموي، ياقوت (ت 226هـ): **معجم البلـدان**، ج4، بيـروت: دار إحيـاء التراث العربي، (د. ت)، ص249.

(43) بحار الأنوار، ج 43، ص1.

(44) حول معاني هذه الألفاظ انظر تباعاً معجم مجمع البحرين مج 3 / ص 326، 2 / 364، 2 / 523، 2 / 449، 2 / 537، 2 / 247، 2 / 253، 3 / 390، 2 / 263، 3 / 293، 3 / 178، 3 / 142، 3 / 399، 2 / 74.

(45) انظر في ذلك: المعجم السابق في المواد التالية، وأمثالها: (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم): (برج) مج2 / ص462، و(قوله أي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم): (حجج) 1 / 466.

(46) انظر: الكليني، محمد بن يعقوب (ت 329 هـ): **أصول الكافي**، ط1، بيروت: دار المرتضى، 2005م، الغلاف.

(47) انظر: مجمع البحرين، مادة (سود) مج 2/ ص 48، ومادة (حمد) 2 / 27، ومادة (رود) 2 / 37، ومادة (صدر) 2 / 227، ومادة (صيد) 2 / 58، ومادة (بتر) 1 / . . ،52 وغير ذلك.

(48) انظر: مجمع البحرين، مادة (ثنا) مج 1 / ص 52.

(49) انظر: مجمع البحرين، حيث ورد اسم أبي بكر من دون أي دعاء في موارد كثيرة، منها: (ثنا) 1 / 52، (رأى)1/ 104، (حمد) 2 / 27، (سدد) 2 / 43.

(50) انظر: مجمع البحرين، حيث ورد اسم عمر بن الخطاب من دون أي دعاء في موارد كثيرة، منها: (أسا) 1 / 24، (زيد) 2 / 40.

(51) انظر: مجمع البحرين، حيث ورد ذكر بعض الصحابة دون أي دعاء أيضاً، مثل:

- أبو سفيان: في مادة (زيد) 2 / 40.
- ابن عباس: في المواد (برج) 1 / 462، (رود) 2 / 37، (رعد) 2 / 35.
- الزبير بن العوام: في مادة (تبر) 2 / 144.

(52) انظر: السابق، مادة (رأى) 1 / 104.

(53) انظر: السابق، مادة (بغا) 1 / 40، ومادة (عبد) 2 / 63.

(54) أصول الكافي، ص316.

(55) انظر: السبحاني، جعفر: **الإلهيات**، بقلم: حسن مكي العاملي، ج4، ط7، بيروت: الأميرة للطباعة والنشر، 2006م، ص88.

(56) انظر: هامش 54.

(57) البيت من بحر البسيط، وهو للفَضْل بن العَبّاسِ بن عُتْبَةَ بن أبي لَهَبٍ، انظر: المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن: **شرح ديوان الحماسة**، نشره: أحمد أمين، وعبدالسلام هارون، ط1، القسم الأول، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1951م، ص224.

(58) البيت من بحر الكامل، وهو للبيد بن ربيعة العامري، انظر: عباس؛ إحسان: **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، 1962م، ص311.

(59) انظر: مجمع البحرين، مادة (ولا) 1 / 278.

(60) سورة الأنفال: الآية 41.

(61) انظر: السيستاني، علي الحسيني: **المسائل المنتخبة**، ط13، الكويت: مبرة محمد رفيع معرفي الخيرية، 2006م، ص256.

(62) مجمع البحرين. مادة (غنم) 3 / 398.

(63) هذه الوظائف منها ما يكون على المستوى الصوتي كوصف المعجم للصوت المعقود له الباب، وطريقة كتابة الحروف وهجائها وغير ذلك من القضايا الصوتية، ومنها ما يكون على المستوى الصرفي كبيان المجرد والمزيد، وأنواع المشتقات وغيرها من الأمور الصرفية، وينسحب هذا على بقية المستويات في التحليل كالمستوى النحوي والمعجمي وما يرتبط بهما. انظر في الحديث عن هذه الوظائف:

- صناعة المعجم الحديث، ص115 وما بعدها.

(64) من هذه الطرق المستعملة في الشرح قديماً وحديثاً؛ الشرح بذكر المرادف، والشرح بذكر المضاد، والشرح بالتعريف، والشرح بذكر السياق اللغوي، والشرح بذكر الشواهد والأمثلة، والصور التوضيحية... إلخ. (انظر: أبو الفرج، د. محمد أحمد: **المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث**، القاهرة: دار النهضة العربية، 1966م. ص106 وما بعدها.

(65) سورة المطففين: الآية 26.

(66) مجمع البحرين، مادة (ختم) 3 / 350.

(67) سورة يس: الآية 12.

(68) مجمع البحرين، مادة (حصا) 1 / 68.

(69) السابق، مادة (أمر) 2 / 129.

(70) سورة البروج: الآية 1.

(71) مجمع البحرين، مادة (برج) 1 / 462.

(72) السابق، مادة (أسى) 1 / 24.

(73) انظر على سبيل المثال: القمي، عباس: **مفاتيح الجنان**، ط2، بيروت: دار القارئ، 2004م.

(74) مجمع البحرين. مادة (عضد) 2 / 66.

(75) السابق. مادة (ختم) 3 / 350.

(76) البيت من بحر الطويل، وهو لابن ميّادة، انظر: حداد، د. حنّا جميل: **شعر ابن ميّادة**، راجعه وأشرف على طباعته: قدري الحكيم، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1982م، ص227.

(77) البيت من بحر الكامل، وهو لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين: **كتاب شرح أشعار الهذليين**، حققه عبدالستار أحمد فراج، وراجعه محمود شاكر، ج1، القاهرة: مكتبة دار العروبة، ص10.

(78) مجمع البحرين، ص8.

(79) السابق، مادة (تمم) 3 / 331.

(80) السابق، مادة (صدق) 3 / 124.

(81) السابق، مادة (ثنا) 1 / 52.

(82) سورة الزخرف: الآية 32.

(83) انظر: فضل الله، د. هاني: **مقدمات في علم المنطق**، ط2، بيروت: دار الهادي، 2000م، ص118.

(84) سيرل، جون: **العقل والمجتمع**، ترجمة: سعيد الغانمي، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف، 2006م. ص36.

* * *